

٨

أفرايت الذى تولى

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾

[سورة الفلق]

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾

[سورة الناس]

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾

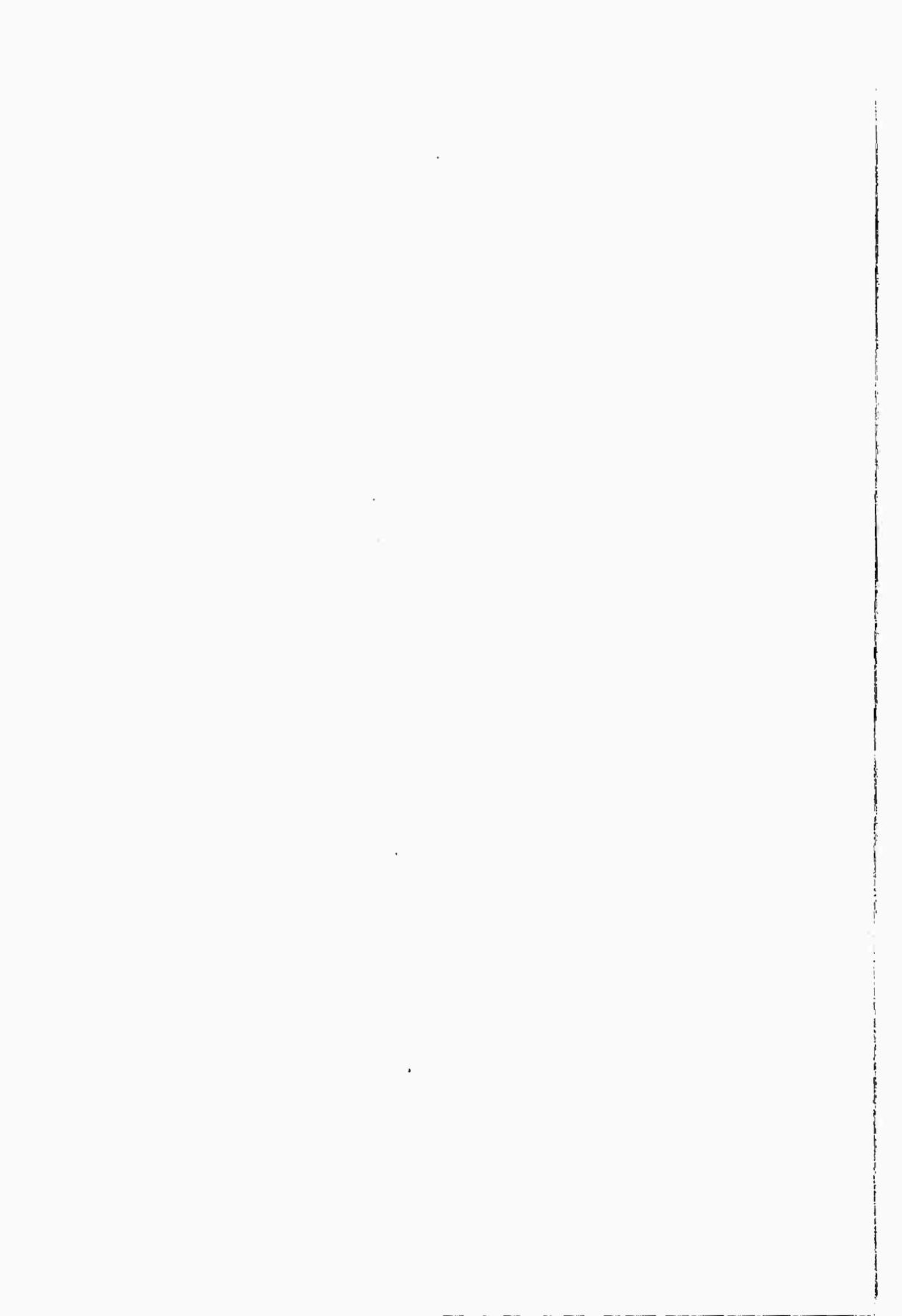
[سورة الإخلاص]

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى *
وَأَنْ سَعْيُهُ سَفْوَةٌ بَرِيءٌ * ثُمَّ يُجْرِنُهُ الْجِرَاءُ الْآوْفَى ﴾

[سورة النجم]

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾

[سورة القيامة]



«الرسول في فراشه بداره بمكة.. وقد اشتد به مرض أمسك به وطال.. لا يعرف ولا مَنْ حوله له كُنْهًا ولا سببًا!!.. يعودهُ المسلمون الأوائل تباعًا، فلا يكادون يعرفون للمرض الغريب علة تشفى قلقهم على الرسول أو تجيب على تساؤلاتهم.. يتحدث البعض أنه من سحر يهود.. ومنهم من يتحدث بأنهم دسوا عليه رجلاً منهم يقال له ليبيد بن أعصم.. دس السم في بئر لبنى رزيق.. منهم من ذهب ينزح الماء من البئر، ومنهم من أخرج ما يجرفه منها.. لا يكادون يستقرون على حال.. يزيد مرض الرسول الذي طال من اضطراب قلوبهم، وشتات نفوسهم.. ولكن محمدًا عليه السلام لا يلتفت إلى شيء من ذلك، ولا يتجه إلا إلى ربه سبحانه.. ماهى إلا أيام حتى يتنزل عليه جبريل عليه السلام بكلمات ربه..

جبريل : (يتلو على محمد).. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾ [سورة الفلق: الآيات: ١-٥].

«ما يكاد محمد يردد بلسانه ما أتاها به جبريل، حتى يوافيه..».

: (لمحمد) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ مَلِكِ النَّاسِ ②
 ③ إِلَهِ النَّاسِ ④ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ⑤
 الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑥ مِنْ الْجَنَّةِ
 وَالنَّاسِ ﴿[سورة الناس: الآيات: ١ - ٦].

(يرتفع الوحي)

* * *

«النبى ﷺ خالد إلى تأملاته.. يعجب من
 عناد المشركين، وما يبتدعونه من مبتدعات
 لإعناته.. لا يتركون أحبولة إلا أشهروها، ولا
 شيئاً يظنون أنه يعجزه إلا أثاروه.. لا يكلمون،
 ولا يهدأ شرمهم عن افتعال الأفاعيل كل يوم..
 هاهم يقولون له «انصب لنا ربك».. يظنون أن الله
 شخص مثلهم يرد عليه نسب ووصف.. يقول
 بعضهم إن نعتة ووصفه سبحانه ورد فى التوراة،
 فلماذا لا يخبرهم عليه السلام من أى شىء هو
 ومن أى جنس أو نوع.. أهو من ذهب أم من
 فضة أم من نحاس؟!.. هل يشرب ويأكل
 كما يشربون ويأكلون؟!.. كيف آلت إليه الدنيا
 وممن ورثها.. وإلى من سوف يورثها؟!.. أليسوا
 يرثون ويورثون، فلماذا لا يرث الله ويورث الدنيا
 من بعده؟!.. تباً لهم ، ألهذا الحد وصل بهم
 سفههم وعبث عقولهم وشروود ضلالاتهم؟

محمد فى تأملاته ، يتنزل عليه الروح

الأمين»..

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [سورة الإخلاص: الآيات: ١ - ٤].

(يرتفع الوحي)

* * *

«قريش وقد شنفت للوليد بن المغيرة واهتاجت بعد أن تسربت إليها أنباء بأنه آمن بمحمد، وتابعه على دينه، وأنه يتحدث فى القرآن، ويمتدحه، ويقول فيه قولاً جميلاً.. تأخذهم الدهشة والغضب.. يجمعون وفدًا منهم ويلحقون بالوليد بن المغيرة بمجلسه بظاهر الكعبة.. يبتدرونه معايير»..

قرشى : (معاييرًا) لم تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت ما يزعمه محمد أنهم فى النار؟!

الوليد : إنى خشيت عذاب الله!

قرشى آخر : (مرددًا فى استنكاك) خشيت عذاب الله؟!.. ما هذا؟!!

قرشى ثالث : (مقاطعًا) هل لك فى عطاء، وتعود إلى ديننا، وتتحمل عنك عذاب الله؟!

«يبدو التردد والنكوص على وجه الوليد»..

القرشى الأول : (معاتبًا) ألم تكن قد مدحت القرآن الذى يدعى محمد

أنه يتنزل عليه، وقلت فيه كلامًا جميلًا.. (يستأنف)
هل سحرك محمد؟!

«يحصره القرشيون بالعتاب والمعيرة، فلا
يقدر على مناوئتهم.. ينهزم أمامهم فينكص
ويعطيهم عهدًا بالأل يعود إلى ما كان يمتدح به
القرآن.. يرضى القرشيون بنكوصه، ويرتاحون
إلى ما أعطاهم من عهد.. ينصرفون عنه، بينما
هو جالس وكأن على رأسه الطير.. لا يدري إلام
نكص، ولا لماذا سلم لهم بما يريدون... يمضى
مهمومًا مضطرب النفس والفؤاد على ما كان منه
من عهد بالنكوص والإسك عن امتداح القرآن!». »

* * *

«محمد فى خلوته يتعبد.. يتنزل عليه الروح
الأمين...».

جبريل

: (يتلو على محمد) ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ وَأَعْطَى
قَلِيلًا وَأَكْدَى ۚ ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بِرَى ۚ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يَبْتَأْ
بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ ۚ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۚ ﴿٣٧﴾ أَلَمْ نُزُرْ
وَإِزْرَةً ۖ وَزَرْنَا أُخْرَىٰ ۚ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۚ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ
سَعِيَهُ سَوْفَ بِرَىٰ ۚ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ۚ ﴿٤١﴾﴾ [سورة
النجم: الآيات: ٣٣ - ٤١].

(يرتفع الوحي)

* * *

«محمد وحوله بعض رؤوس قريش.. فيهم
عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبوجهل
عمرو بن هشام، والعباس، وآخرون من سادة
قريش.. وقد اشتد بينهم الحوار.. النبي لا يزال
يرجو إقناعهم عسى أن يهتدوا إلى نور اليقين
ويسلموا.. يحاورونه ويرد عليهم ويبين لهم..
يدعوهم بحرارة إلى الإسلام رجاء أن يسلم غيرهم
بإسلامهم.. وإذ هم في حوارهم يقترب ضير
بسيط هو ابن أم مكتوم يتوكأ على عصاه..
يحاول أن يتلمس طريقه.. تملك عليه رغبته
في الوصول إلى النبي كل نفسه.. لا يرى ماذا
يجرى، ولا ماذا يتغيأه النبي.. فلا يحفل بما
يتناهى إلى سمعه من حوار ساخن، فيقتحم
الحديث الجارى مقاطعاً»..

ابن أم مكتوم : (معاجلاً) يا محمد.. استدنى..

يا رسول الله أرشدنى.. علمنى مما علمك الله..

«النبي منشغل فى حديثه، يبدو غير مرتاح
لهذه المقاطعة.. وابن أم مكتوم ماض فى إلحاحه
ونداءاته لا ينى ولا يتمهل ولا ينتظر.. ينادى،
ويكثر النداء.. يبدو الضيق والعبوس على محيا
النبي وقد كان يأمل أن يلين لدعوته صناديد
قريش..»

«بدار النبي عليه السلام، وقد آب إلى

خلوته .. لا يكاد يخلو إلى نفسه حتى يوافيه
الروح الأمين بكلمات ربه» ..

جبريل

: (يتلو على محمد) ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا
يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَا مِنْ أَسْتَفْتَى ﴿٥﴾
فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ﴿٧﴾ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾
وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ لَهْفَى ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة عبس: الآيات :
١ - ١٠].

(يرتفع الوحي)

«يخرج النبي عليه السلام وجلاً أسياً يتلمس
ابن أم مكتوم.. لا يني حتى يجده.. يقبل عليه
النبي حائياً.. يناديه ، ويتفرق به.. يسأله عن
حاجته ، ويجيبه.. ويفيض عليه ببره وعطفه..
«الأيام تمضي ، والنبي لا تفارقه حفاوته
بابن أم مكتوم - لا يراه إلا ويبسط له رداءه..
ويقول له: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي.. هل من
حاجة فأقضيها لك؟»

«مكة.. سنوات المبعث ، دعوة الإسلام تمضي
قدماً - ببطء ، ولكن بخطوات واثقة.. تتسامع
قريش في وجل وترقب وتوجس بالأنباء التي
تأتيها ما بين يوم وآخر عن إيمان واحد أو أكثر
من الأشراف أو من العبيد والمستضعفين.. تتسامع
في ترقبها وقلقها بما يتنزل على محمد من قرآن..

فى هذه الفترة الأخيرة يتلاحق نزول الوحي على الرسول عليه السلام.. يوافيه الروح الأمين، بسور الشمس، ثم البروج، ثم التين، ثم قريش، فالقارعة.. تلفت أنظار المتلقين إلى ما يحفل به الكون من آيات قدرة ووحداية الخالق.. ما فى الشمس، وضحاها.. وما فى القمر إذا تلاها.. والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها.. والسماء وما بناها... والأرض وما طحاها، ونفس وما سواها سبحانه فألهمها فجورها وتقواها.. السماء ذات البروج، واليوم الموعود.. وقصص أصحاب الأخدود.. القسم بالتين والزيتون وطور سينين، والإنسان الذى سواه الله فى أحسن تقويم، ثم رده أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. وقريش، كيف لا يعبدون رب البيت العتيق، الذى أطعمهم سبحانه من جوع وآمنهم من خوف.. ألا يدرك الناس القارعة، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش.. يوم يحمل الإنسان إلى ربه موازينه، من ثقلت.. فهو فى عيشة راضية، ومن خفت فمآله إلى الهاوية: النار الحامية.. يتلاحق نزول الآيات على محمد، فيخشى أن يفوته سهو أو نسيان.. إذا نزل عليه الوحي، يبادر فيحرك لسانه بما نزل عليه من قرآن، يريد أن يحفظه.. وإن هو فى حرصه الحريص على حفظ التنزيل الحكيم، يحرك به لسانه وشفقيه مخافة

أن ينفلت منه أو يفوته شيء.. تأتيه كلمات ربه
حانية مطمئنة لتفرخ روعه وتسكن نفسه.. ينزل
عليه جبريل عليه السلام بسورة القيامة، فيلقنه
مما لقنه منها من كلمات ربه..».

جبريل

: (يتلو على محمد) .. ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ
عَلَيْنَا جَمْعَهُ، وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ وَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنعِقْ قُرْآنَهُ، ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا
بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ [سورة القيامة: الآيات: ١٦ - ١٩].

(يرتفع الوحي)

* * *

«الحكم بن أبي العاص في داره بمكة، بادي
الثورة والهياج وقد بلغه أن عثمان ابن شقيقه
عفان.. قد صبأ وآمن بمحمد.. يدخل عليه عثمان
مليئاً استدعاه له، فيبادره الحكم في غلظة فيشد
وثاقه ويهدده بأن يرجع عما هو فيه.. أو ليعذبه
ويعصف به..».

: (ثائراً) أترغب عن ملة آباءك إلى دين محدث؟!
واللات والعزى لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من
هذا الدين!!

عثمان : (لعمه في هدوء وثقة) والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه.. ما
أنا عابد أصناماً بعد أن شرح الله صدرى للإسلام، فقد
وجهت وجهى للذى خلق السموات والأرض!

«الحكم بن أبي العاص يثور ثورة عارمة،
فيدعو إليه رجاله ويأمر بحبس عثمان وتقييده
بالحديد، وحرمانه من الطعام والشراب.. الرجال

ينفذون أوامره وعثمان لا تفارقه رباطة جأشه،
ولا أدبه المعروف عنه.. يزداد غيظ الحكم !!»
الحكم : (مهذباً وهو ينصرف) ستظل هكذا حتى تعود إلى رشدك،
وترجع إلى ملتنا !!!

«عثمان لا يبالي.. تمضى أيام ولا تفلح سياسة
الحكم، ويدرك أنه لا حيلة له مع ابن شقيقه..
فيأمر بإطلاق سراحه.. يلحق عثمان بالمسلمين
فرحاً بينما القرشيون يزدادون غمًا وكرهًا!!»

* * *

«مكة.. وقريش قد بدأت حملة شعواء لملاحقة
كل من يسلم.. لم تكتف بمطاردة وتعذيب
المستضعفين، وإنما أخذت تطارد من يسلم من
أبنائها.. ما كادت حمنة بنت سفيان بن أمية،
أم سعد بن أبي وقاص تعلم بأن ابنها سعداً قد
أسلم، حتى تثور ثأرتها.. حمنة بالدار مطرقة
مغيظة - ما يكاد سعد يدخل عليها حتى تبندره
ثائرة ...

حمنة : يا سعد، بلغنى أنك قد صبوت!
سعد : يا أمى ما صبوت، وإنما أتيت محمداً الصادق الأمين
فأمّنت بأنه رسول الله ليهدينا إليه بدلاً من عبادة أحجار
لاتضر ولا تنفع!
حمنة : (وقد ازدادت ثأرتها) إننى بريئة منك! فواللات والعزى،
لا يظلنى سقف بيت من الضخ (الشمس) والريح.. ولأقومن

فى العراء ليلًا ونهارًا، ولا آكل ولا أشرب، حتى تأتينى
الإبل، أو تكفر بمحمد وترجع إلى ما كنت عليه..
: سعد (مترققًا) يا أماه، ما كنت بالذى يكفر بعد أن هدانى الله!
: حمنة واللات والعزى، ما آكل ولا أشرب حتى ترجع عما أنت
فيه.. أو أموت فتعير بى!
: سعد بالله لا تفعلى يا أماه.. فإنى لن أدع دينى.. لا تطمعى أن
تردينى إلى الضلال بعد الهدى، وإلى الكفر بعد الإيمان!
فوالله الذى لا إله غيره لا أترك هذا الدين أبدًا!
«ينصرف سعد بادى القلق على أمه، ولكن لا
يختلج له يقين...».

* * *

«بعد يوم بدار سعد بن أبى وقاص.. يجلس
إليه قرشى من أقربائه...».

: القرشى (فى إلحاح) ألا تترفق بأمك يا سعد.. ألا ترحم
شيخوختها؟!
: سعد والله ما أعلم ابنًا أبر بأمه منى.. أما هذا الذى تريده فلا..
: القرشى لقد أشرفت أمك على الهلاك.. ألا تعلم أنها صامت عن
الطعام والشراب منذ البارحة؟!..!
: سعد والله ما كنت أحب لها أن تفعل بنفسها ذلك!..!
: القرشى فما منعك إذن من أن ترضيها يا سعد؟! لقد صبرت على
تربيتك منذ وفاة أبيك.. كانت لك أمًا رؤومًا!!
: سعد أتريدنى أن أرجع عن إسلامى بعد أن هدانى الله لأرضيها?!!

أبدلاً من أن أهديها أعود أنا إلى الكفر؟! (مستطرداً).. لن
أبيع إيماني وديني حتى ولو كلفني ذلك حياتها!..
: على رسلك!..!

القرشى

«ينصرف القرشى مغاضباً..»

* * *

«يدار سعد.. بعد يوم آخر..»

: لقد أشرفت أمك يا سعد على الموت .. إن حالتها تذيب
الصخر!!!

القرشى

: (فى إصرار) لن أدع ديني بعد أن هداني الله..

سعد

: (يزداد إلحاحاً ورجاءً) إنها تعاني سكرات الموت!!!

القرشى

: وماذا أصنع.. ما تطلبه محال؟!.. قد حاول أخي أن
يطعمها بالقوة فأبئت!..

سعد

: لعلك تنجح فى إثنائها يا سعد.. تعلم كم تؤثر!

القرشى

: ذلك فنعم.. أما ما تريده ، فبينها وبينه ما بين السماء
والأرض..

سعد

* * *

«فى إحدى غرف الدار.. أم سعد بادية

الوهن فى الفراش.. يدخل عليها سعد..

: (فى عطف) ألا تأكلى يا أماه.. لقد أشرفت على الهلاك!!!

سعد

: (لائمة فى وهن) إذن عد إلى دين آباءك وأجدادك يا ولدى..

حمئة

: (فى إصرار حنون) قلت لك مراراً يا أماه إننى لن أترك

سعد

الإسلام، فارجعى عما أنت فيه..

حمئة : (فى عناد واهن) لتتركن دينك ، أو لا آكل ولا أشرب إلى أن أموت.. فَتُعَيَّرَ بى !!

سعد : (فى إصرار) تعلمين والله يا أماه.. لو كانت لك مائة نفس، فخرجت نَفْسًا نَفْسًا، ما تركت دينى هذا لشيء.. إن شئت فكلى - وإن شئت، فلا تأكلى !! ..

* * *

«بظاهر الكعبة.. سعد بن أبى وقاص جالس بمفرده.. يقترب منه قريبه القرشى بادی السرور..

القرشى : أبشر يا سعد.. لقد رجعت أمك عن عنادها.. وأكلت..
سعد : ما كنت بالذى يترك دينه.. مهما كان.. أو يكن !! ..

* * *

«بعد فترة.. محمد عليه السلام فى خلوته

يتعبد ويتمجد.. يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد).. ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ نَوْمٍ إِلَىٰ نَوْمٍ إِلَىٰ نَوْمٍ فَأَنْبِئْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة لقمان: الآيات: ١٤ - ١٥]..

(يرتفع الوحي)

* * *